

(١)

**استقبال شهر رمضان
بالتكافل والتراحم والعمل
والبعد عن الغش بكل أنواعه**

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **وبعد**:

ففي هذه الأيام المباركة نستقبل شهراً عظيماً، هو شهر رمضان المبارك، شهر الخير والرحمة، واليمن والبركة، شهر جعله الله تعالى موسماً لمضاعفة الحسنات، ورفع الدرجات، ومحو الذنوب والسيئات، شهر تنهياً فيه الجنة لاستقبال الصائمين، وفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة، وقيام ليله تطوعاً، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

إنه شهرٌ عظيمه الله تعالى وكرمه، وجعله منحة لهذه الأمة المباركة، تُسر به قلوب المؤمنين، وتسعد به نفوس المتقين، عظم الله أيامه ولياليه، وتجلي فيه الحق سبحانه وتعالى على الصائمين القائمين بالمنن والعطايا وغفران الذنوب، يقول نبينا

(٢)

(صلى الله عليه وسلم): (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،
وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

ونحن إذ نستقبل هذا الضيف الكريم ، علينا أن نستشعر منزلته ومكانته ، وأن
نغنم أيامه ولياليه بالمسارعة إلى الخيرات ، وطلب المغفرة والرحمات ، فإن فضل
الله تعالى وعطاءه في هذا الشهر الكريم عظيم ، ومن ذلك : أنه سبحانه وتعالى
أعظم الثواب للصائمين القائمين ، فمَنَحَهُمْ من الأجر ما لم يمنحه لهم في غيره من
الشُّهُور، فتكفل سبحانه وتعالى وحده بثواب الصائمين ، قال نبينا (صلى الله عليه
وسلم) فيما رواه عن رب العزة : (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى
بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْخَبُ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ
أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نفسُ مُحَمَّدٍ يَبِيده لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ
عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرِحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ
رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ).

وقد حرص النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على تهيئة أصحابه لاستقبال هذا الشهر
الكريم ليجتهدوا في الطاعات ويسارعوا إلى الخيرات ، فكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
إذا هبت نسائم شهر رمضان المبارك يُشيع البشرَ وينشر البهجة والسرور ، ويحث على
العمل ، ويحذر من الكسل ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا حَضَرَ
رَمَضَانَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ،
افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُعَلُّ
فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ) ، فكان الصحابة
(رضوان الله تعالى عليهم) أسرع الناس استجابة وامثالاً وعملاً بتوجيهات النبي

(٣)

الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

إن شهر رمضان مدرسة تتربى فيها الأمة الإسلامية على الصبر ، وتقوية الإرادة والعزيمة والعمل ، فيجد المسلمون في نهاره ثمرة الصبر والانتصار على الشهوات ، وفي ليله لذة المناجاة والوقوف بين يدي الله (عز وجل)، وتتجسد فيه ملامح التلاحم والتراحم والتعاطف بين المسلمين عامتهم وخاصتهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ليكونوا جميعاً يداً واحدةً ، وبناءً متكاملًا يبرز محاسن الدين وسماحته ويسره. ومن ثم فعلينا أن نستقبل شهر رمضان بالعمل والتكافل والتراحم فيما بيننا ، لأن الإسلام لا يَعْرِفُ الفردية أو الأنانية ، وإنما يعرف إخاءً صادقاً ، وعطاءً كريماً ، وتعاوناً على البرِّ والتقوى ، ومن ثم يثمر مجتمعاً قوياً متماسكاً متعاوناً ، يقوم على الحب والعطاء وفعل الخيرات ، وتتجلى فيه مكارم الأخلاق.

إن التكافل والتراحم بين الناس من الخصائص البارزة في شهر رمضان ، والتي حثَّ عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) عن طريق بذل المال للمحتاجين ، والعمل على إطعام الجائعين ، وإفطار الصائمين ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (.. مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ". قَالُوا: لَيْسَ كُلُّنَا نَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ. فَقَالَ: " يُعْطِي اللهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَدَقَةَ لَبَنٍ).

وفي سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) عشرات الأحاديث التي تحضُّ على مختلف أنواع التكافل والخير ، كالسير في قضاء حوائج الناس ، وتنفيس كربهم ، وكفالة أيتامهم ، ورعاية أراذلهم ، وإيواء مشرديهم ، وإطعام جائعيهم ، ومن ذلك قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرَعُ النَّاسُ

(٤)

إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أَوْلِيَّكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَقَوْلُهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :
(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ يَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ
وَيَتَصَدَّقُ ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟
قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ).

فينبغي أن يكون استقبال شهر رمضان بالتكافل والتراحم بين أبناء المجتمع ،
حتى يشعر الأغنياء بإخوانهم الفقراء ، فتسود بينهم المحبة والمودة ، ويعيشون حياة
آمنة هادئة ينعمون فيها بالأمن والرخاء ، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. فشريعة الإسلام
تدعو أتباعها إلى أن يسود بينهم التكافل والتراحم ، حتى يكونوا كالجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ
(رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي
تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى).

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القدوة الحسنة، كما بين ذلك ابن
عباس (رضي الله عنهما) حيث قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدَ
النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي
كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حِينَ يَلْقَاهُ
جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

فرمضان هو شهر الجود والكرم ، شهر يتجسد فيه معنى الرحمة والرفقة بالفقراء

(٥)

والمساكين ، والعطف على اليتامى والأرامل والمحتاجين ، وقد حثنا ديننا الحنيف على التضحية والبذل والعطاء في سبيل إسعاد الآخرين وإدخال السرور على قلوبهم، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين سئل: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ، وَآيُ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَبِنٌ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا- فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ- ... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُبْتَتَهَا لَهُ تَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلُ الْأَقْدَامُ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

ما أجمل أن يتعهد الإنسان الفقراء والمساكين في هذا الشهر الكريم بكل صور التكافل والتعاون والتراحم ، فيُدخل عليهم الفرحة والسُرور ، وليس ذلك موقوفاً على النفقة فحسب ، بل معناه أوسع من ذلك فيشمل البر والصلة ، والتعاطف والتواد ، ورعاية الحقوق والواجبات.

إن التكافل والتراحم شقيقان لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر بأي حال من الأحوال ، فتكافل بلا تراحم لا خير فيه ، وتراحم بلا تكافل لا بركة فيه ، فالرحمة هي طريق التكافل والبذل والعطاء وكل مظاهر الجود والكرم ، كما تعني الرفق

والرقة والعطف والرافة ، فهي كلمة جامعة لمكارم الأخلاق ، تقتضي الإحسان إلى الغير ، بالمسامحة واللطف والمعاونة والعطف عليه بجلب الخير له ودفع الضرر عنه ، لذا أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على تجسيد معنى التراحم والتكافل بين أبناء المجتمع ، حين قال : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

ونؤكد أن هذا الشهر الكريم هو شهر عبادة وعمل ، لا شهر بطالة وكسل ، فالعمل عبادة وتقرب لله (عز وجل) ، يقول سبحانه : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ، ويقول (عز وجل) : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ، فقد يركن بعض الناس إلى الراحة والكسل ، أو التفرغ الكامل طوال شهر رمضان للعبادة على حساب العمل ، أو التقصير في الواجب المهني أو الوظيفي ، أو إرجاء الأعمال إلى ما بعد رمضان ، حتى لو كان ذلك على حساب قضاء حوائج الناس ، مما يخالف الهدف والغاية التي من أجلها شرع الصيام ، وهي تحقيق التقوى وحسن المراقبة لله (عز وجل) .

وجدير بنا أن ننبه - ونحن نستقبل شهر الطاعة والتقرب إلى الله (عز وجل) - أن الإسلام قد حرم الغش بكل أشكاله وألوانه وصوره ، سواء أكان في الطعام والشراب ،

(٧)

أم في المقدار وتطفيف الكيل والميزان ، أم في النوع والجودة ، لأنه يورث الأحقاد والضغائن ، ويفتح أبواباً كثيرة من الشر والفساد ، إضافة إلى أن من يغش الناس يعتبر آكلاً للحرام ، وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك حيث يقول الحق سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ، وفي رواية (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) .

وبهذه المناسبة ونحن بصدد امتحانات نهاية العام الدراسي نؤكد أننا بحاجة إلى تذكير أبنائنا وبناتنا وجميع القائمين على شؤون الامتحانات في المدارس والمعاهد والجامعات بفضل العلم ، وأهمية تحصيله خدمة لأنفسهم ومجتمعاتهم وأوطانهم ، وبحرمة الغش في الامتحانات ، ذلك لأن الغش تزوير وتدليس وإعطاء شهادة أو قيمة لمن لا يستحق على حساب من يستحق ، وهو مما يجعل بناء الفرد هشاً لا قيمة له ، ويدمر المجتمعات بحرمانها من الاجتهاد العلمي والتفوق الحقيقي وإبراز الكفاءات المتميزة التي يمكن أن تسهم في تقدم الأوطان والأمم .
ومن ثم يجب علينا جميعاً أن نستقبل شهر رمضان بالعمل الجاد المثمر ، والقيم النبيلة والمثل الرفيعة ، التي تعكس أثر التدين الصحيح للإنسان ، ولنترجم ذلك إلى سلوك عملي في حياتنا .

نسأل الله تعالى أن يعيد علينا هذا الشهر الكريم

وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات